مجموعة قصص الأنبياء

بإشراف
محمد أحمد برانق



29
M

١٠

مُوسَى الرّضيعُ عليه السلام

تصدرها
دار المعـــارف

اهداءات ٢٠٠٠
ا.د.رشيد سالم الناضورى
أستاذ التاريخ القديم
جامعة الإسكندرية

مجموعة قصص الأنبياء

١٠

موسى الرضيع عليه السلام

بإشراف
محمد أحمد برانق
المفتش العام بوزارة التربية والتعليم بمصر

تصدر عن
دار المعارف بمصر

١

عَاشَ يَعْقُوبُ إِسْرَائِيلُ اللهِ فِي رِحَابِ فِرْعَوْنِ مِصْرَ عِيشَةً هَنِيَّةً رَاضِيَةً مَعَ أَوْلَادِهِ وَذَرَارِيهِ ، بَعْدَ أَنْ جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ بِابْنِهِ يُوسُفَ الصِّدِّيقِ ، الَّذِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِرِضَى مَلِكِ مِصْرَ ، وَيَشْغَلُ عِنْدَهُ مَنْصِبَ وَزِيرِ مَالِيَّتِهِ وَتِجَارَتِهِ وَتَمْوِينِهِ ؛ وَقَدْ تَرَكَ الْمَلِكُ لِيُوسُفَ أَنْ يَخْتَارَ لِآلِهِ مَا يَخْتَارُ مِنْ مِهَنٍ ، وَمَا يَرْتَضِي لَهُمْ مِنْ مَعَاشٍ ، فَتَخَيَّرَ لَهُمْ يُوسُفُ أَنْ يَكُونُوا كَمَا كَانُوا فِي فِلَسْطِينَ ، رُعَاةَ مَاشِيَةٍ . وَطَلَبَ مِنَ الْمَلِكِ أَنْ يُقْطِعَهُمْ أَرْضاً يَعِيشُونَ فِيهَا ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِمَا تُنْتِجُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ؛ وَيَرْعَوْنَ مَوَاشِيَهُمْ وَأَغْنَامَهُمْ فِي كَلَئِهَا وَعُشْبِهَا ؛ فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ إِلَى طَلَبِهِ ، وَأَقْطَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا طَلَبَ لَهُمْ يُوسُفُ مِنَ الْأَرْضِ ، فَعَاشُوا فِيهَا رَاضِينَ فِي شِبْهِ عُزْلَةٍ عَنِ الْمِصْرِيِّينَ ، وَشَجَّعَهُمْ عَلَى عِيشَةِ الْعُزْلَةِ وَالِانْفِرَادِ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ أَنْفُسَهُمْ كَانُوا لَا يُحِبُّونَ الِاخْتِلَاطَ بِالرُّعَاةِ وَيَعْتَبِرُونَهُمْ أَنْجَاساً .

وَوَافَى الْأَجَلُ يَعْقُوبَ بَعْدَ قُدُومِهِ إِلَى مِصْرَ بِنَحْوِ سَبْعَةَ

عَشَرَ عاماً . بَعْدَ أَنْ بَارَكَ أَوْلَادَهُ وَدَعَا لِابْنَيْ يُوسُفَ اللَّذَيْنِ أَنْجَبَهُمَا ، وَأَوْصَى أَنْ يَكُونَ لِيُوسُفَ وَوَلَدَيْهِ نَصِيبٌ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي يَمْلِكُهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَهِيَ أَرْضُ فِلَسْطِينَ .

وَأَمَرَ يُوسُفُ ، فَحُنِّطَ جُثْمَانُ أَبِيهِ ، وَحُمِلَ إِلَى فِلَسْطِينَ حَيْثُ دُفِنَ ؛ لِأَنَّ يَعْقُوبَ كَانَ قَدْ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ بِمَغَارَةِ الْكَفِيلَةِ : مَدْفَنِ أَبِيهِ إِسْحَاقَ ، وَأُمِّهِ رِفْقَةَ ، وَجَدَّيْهِ سَارَةَ وَإِبْرَاهِيمَ . وَعَاشَ يُوسُفُ مَحْبُوباً مِنْ مَلِكِ مِصْرَ ، مَحْبُوباً مِنْ شَعْبِهَا ، وَظَلَّ قَوْمُهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي رِعَايَتِهِ وَحِمَايَتِهِ حَتَّى مَاتَ . فَحُنِّطَ وَوُضِعَ فِي تَابُوتٍ مِنَ الْمَرْمَرِ ، وَدُفِنَ بِضِفَافِ النِّيلِ . وَمَرَّتْ بَعْدَ ذَلِكَ السُّنُونَ ، وَتَعَاقَبَ عَلَى عَرْشِ مِصْرَ الْفَرَاعِينُ ، وَبَنُو إِسْرَائِيلَ أَحْرَارٌ فِي مَعَاشِهِمْ ، لَا يَعْتَرِضُ عَلَيْهِمْ مُعْتَرِضٌ فِي دِيَانَتِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ حَتَّى جَاءَ الْمَلِكُ أَحْمَسُ ، رَأْسُ الْأُسْرَةِ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ ، فَحَارَبَ سُلَالَةَ مُلُوكِ الرُّعَاةِ الْهِكْسُوسِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْرِفُونَ فَضْلَ يُوسُفَ عَلَى مِصْرَ ، فَطَارَدَهُمْ وَشَرَّدَهُمْ .

فَلَمَّا جَاءَ رَمْسِيسُ الثَّانِي كَانَتِ الْحُرُوبُ قَائِمَةً ، بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَالْأَسْيَوِيِّينَ ؛ فَآلَى رَمْسِيسُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْمَلَ

عَلَى الْحَدِّ مِنْ تَكَاثُرِ بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى مِصْرَ ، حَتَّى لَا يَكُونُوا عَوْنًا لِجِيرَانِهِمُ الْأَسْيَوِيِّينَ أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ الْبِلَادِ .

فَفَكَّرَ فِيمَا يَتَّخِذُ مَعَهُمْ حَتَّى يُقَلِّلَ مِنْ نَسْلِهِمْ ، وَيُضْعِفَ مِنْ قُوَّتِهِمْ ، فَرَأَى أَنْ يُسَخِّرَهُمْ فِى أَعْمَالِ الْعُنْفِ وَالْقُوَّةِ ، حَتَّى يُرْهِقَهُمْ ، وَيَسْلُبَ قُوَّتَهُمْ ، فَعَهِدَ إِلَى رِجَالِهِ أَنْ يُسَخِّرُوهُمْ فِى صُنْعِ اللَّبِنِ وَبِنَاءِ الْمُدُنِ ، وَإِقَامَةِ الْحُصُونِ ، وَحَرْثِ الْأَرْضِ ، وَتَعْبِيدِ الطُّرُقَاتِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُرْهِقُوهُمْ ، وَيُشَدِّدُوا عَلَيْهِمْ ، وَأَنْ يُوَالُوهُمْ بِالشِّدَّةِ وَالْعُنْفِ ، وَأَلَّا يَدَعُوا لَهُمْ وَقْتًا لِرَاحَةٍ أَوِ اسْتِجْمَامٍ وَهٰكَذَا انْتَقَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِى مِصْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ ، وَهٰكَذَا ذَلُّوا وَسُخِّرُوا فِى أَعْنَفِ الْأَعْمَالِ وَأَقْسَاهَا .

وَلٰكِنَّ مَا نَشَدَهُ فِرْعَوْنُ مِصْرَ مِنْ وَرَاءِ إِذْلَالِ بَنِى إِسْرَائِيلَ بِإِرْهَاقِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ لَمْ يَتَحَقَّقْ فَبَنُو إِسْرَائِيلَ — كَمَا هُمْ — أَقْوِيَاءُ أَشِدَّاءُ ، وَذُرِّيَّتُهُمْ فِى تَكَاثُرٍ وَازْدِيَادٍ ! !

فَكَّرَ رَمْسِيسُ مِنْ جَدِيدٍ ، فَلَمْ يَجِدْ أَصْوَبَ مِنْ أَنْ يَأْمُرَ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ يُولَدُ مِنْ أَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ مِنَ الْبَنِينَ ، وَبِذٰلِكَ يَأْمَنُ تَكَاثُرَهُمْ ، ثُمَّ يَضْمَنُ انْقِرَاضَهُمْ . وَمَرَّتْ عَلَى

الْإِسْرَائِيلِيِّينَ مِحْنَةٌ قَاسِيَةٌ ، مَا قَاسَتِ الْبَشَرِيَّةُ عَلَى طُولِ عُهُودِهَا أَقْسَى وَأَفْظَعَ مِنْهَا : فَكَانَتِ الْأُمُّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا حَمَلَتْ أُقِيمَتْ عَلَيْهَا الرِّقَابَةُ ، حَتَّى إِذَا وَلَدَتْ وَكَانَ الْمَوْلُودُ ذَكَرًا انْتُزِعَ صَبِيحَةَ مَوْلِدِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا ، حَيْثُ يُذْبَحُ لِسَاعَتِهِ .

فَكَانَ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ لِذَلِكَ فِي فَزَعٍ دَائِمٍ ، وَرُعْبٍ قَاتِلٍ ؛ يَتَحَايَلُ النِّسَاءُ فِي إِخْفَاءِ حَمْلِهِنَّ وَعَدَمِ الِاسْتِعَانَةِ بِالْقَوَابِلِ فِي وِلَادَتِهِنَّ ، لَعَلَّهُنَّ بِذَلِكَ يَسْتَطِعْنَ أَنْ يَحْفَظْنَ عَلَيْهِنَّ فِلْذَاتِ أَكْبَادِهِنَّ . وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لِيُفِيدَهُنَّ فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ شَيْئًا ، فَلَمْ يَكُنْ لِيَمْضِيَ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى يُكْتَشَفَ أَمْرُهُنَّ ، فَيُنْتَزَعَ أَوْلَادُهُنَّ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِنَّ إِلَى حَيْثُ يَلْقَوْنَ مَا حُكِمَ عَلَيْهِمْ بِهِ مِنْ مَصِيرٍ رَهِيبٍ . وَلَكِنْ إِلَى مَتَى سَيَظَلُّ هَذَا الْأَمْرُ ؟ !

هَذَا مَا فَكَّرَ فِيهِ بَعْضُ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى فِرْعَوْنَ ، مِنْ وُزَرَائِهِ وَمُسْتَشَارِيهِ ؛ وَلَمْ يُفَكِّرُوا فِي هَذَا رَحْمَةً بِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَكِنْ خَوْفًا مِنَ انْقِرَاضِهِمْ ، فَيَنْقَرِضُ بِذَلِكَ عُمَّالٌ أَذِلَّاءُ أَشِدَّاءُ ، يُسَخَّرُونَ فِي أَعْمَالِ فِرْعَوْنَ دُونَ رَحْمَةٍ أَوْ هَوَادَةٍ .

وَعَلَى ذَلِكَ سَارَ وَفْدٌ مِنْهُمْ إِلَى فِرْعَوْنِ مِصْرَ وَرَبِّهَا ، يَلْتَمِسُونَ

مِنْهُ تَخْفِيفَ الْحُكْمِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى لَا يَفْنَوْا وَيَنْقَرِضُوا فَتَعُودَ بِذَٰلِكَ الْخَسَارَةُ عَلَى الْمِصْرِيِّينَ ، لِأَنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا مَنْ يَقُومُونَ بِأَعْمَالِهِمُ الْعَظِيمَةِ الْمُرْهِقَةِ ، وَلَا مَنْ يَتَحَمَّلُونَ مِثْلَ مَا يَلْقَاهُ هَؤُلَاءِ مِنْ عَنَتٍ وَإِذْلَالٍ .

وَفَكَّرَ رَمْسِيسُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ الْجَدِيدِ . وَفَكَّرَ مَعَهُ وَلِيُّ عَهْدِهِ وَشَرِيكُهُ فِي حُكْمِهِ ابْنُهُ مِنِفْتَاحُ ؛ فَارْتَأَيَا أَنْ يُخَفَّفَ الْحُكْمُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . اسْتِبْقَاءً لِبَعْضِ ذَرَارِيهِمْ وَغِلْمَانِهِمْ وَذَٰلِكَ بِأَنْ يُقْتَلَ الْمَوَالِيدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَنَةً . وَيُتْرَكُوا سَنَةً ، وَبِذَٰلِكَ يَبْقَى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْعَدَدُ الَّذِي يَكْفِي لِتَسْخِيرِهِمْ فِي أَعْمَالِ الدَّوْلَةِ ، وَيَقِلُّ بِمَا يُضْمَنُ مَعَهُ اتِّقَاءُ جَانِبِهِمْ وَعَدَمُ اشْتِدَادِ شَوْكَتِهِمْ ، وَيُؤْمَنُ تَمَرُّدُهُمْ .

وَمَاتَ رَمْسِيسُ ، وَاسْتَقَلَّ بِالْحُكْمِ ابْنُهُ مِنِفْتَاحُ ، وَلٰكِنَّ حَالَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ظَلَّ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ : ذُلٌّ وَسُخْرَةٌ وَتَقْتِيلٌ لِلْأَبْنَاءِ ، وَاسْتِحْيَاءٌ لِلنِّسَاءِ ! بَلْ لَقَدْ زَادَ مِنِفْتَاحُ بُغْضًا لِلْإِسْرَائِيلِيِّينَ وَذَٰلِكَ لِأَنَّهُ حَلَمَ حُلْمًا ، فَسَّرَهُ لَهُ الْمُفَسِّرُونَ بِأَنَّهُ سَيَأْتِي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَنْ يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ ذَهَابُ سُلْطَانِهِ .

٢

وَفِى ذٰلِكَ الحِينِ كَانَ عِمْرَانُ بْنُ وَاهِبٍ أَحَدُ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، قَدْ أَنْجَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ يُوكَابِدَ بِنْتًا سَمَّاهَا مَرْيَمَ ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا جَاءَهُ مِنَ الأَبْنَاءِ الذُّكُورِ بِأَمْرِ فِرْعَوْنَ ، فَلَمَّا جَاءَ تَخْفِيفُ الْحُكْمِ عَنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، وَهُوَ الَّذِى يَقْضِى بِأَنْ يُقْتَلَ الأَبْنَاءُ سَنَةً وَيُتْرَكُوا سَنَةً — تُرِكَ لَهُ وَلَدٌ سَمَّاهُ هٰرُونَ ؛ ثُمَّ حَمَلَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ زَوْجَتُهُ ، وَلَمَّا كَانَ أَوَانُ وَضْعِهَا فِى إِحْدَى السِّنِينَ الَّتِى يُقْتَلُ فِيهَا الذُّكُورُ فَقَدْ أَخْفَتْ حَمْلَهَا حَتَّى تَتَبَيَّنَ نَوْعَ وَلِيدِهَا ، فَإِنْ كَانَ بِنْتًا أَظْهَرَتْهَا ، وَإِنْ كَانَ وَلَدًا عَمِلَتْ مَا فِى وُسْعِهَا لِإِخْفَائِهِ . وَحَانَ وَقْتُ الْوَضْعِ ، فَوَضَعَتْ مَوْلُودًا ذَكَرًا ، وَتَحَيَّرَتْ يُوكَابِدُ : مَاذَا تَفْعَلُ لِإِخْفَائِهِ عَنْ عُيُونِ رِجَالِ فِرْعَوْنَ ؟! وَأَيْنَ تُخْفِيهِ حَتَّى يَشِبَّ وَيَكْبَرَ ؟!

وَمَرَّتْ أَيَّامٌ عَصِيبَةٌ عَلَى نَفْسِ وَالِدٍ ! رَهِيبَةٌ عَلَى قَلْبِ أُمٍّ ! قَاسَتْ فِيهَا يُوكَابِدُ مِنْ خَوْفِهَا عَلَى وَلَدِهَا الأَمَرَّيْنِ ، وَتَعَذَّبَتْ فِيهَا نَفْسُهَا ، وَتَعَذَّبَ فِيهَا قَلْبُهَا ، بِمَا أَضْنَاهَا وَأَمَضَّهَا وَأَرَّقَهَا .

فَكَمْ هَلَعَتْ نَفْسُهَا لِأَقَلِّ حَرَكَةٍ ، وَقَدْ حَسِبَتْهَا لِجُنُودِ فِرْعَوْنَ ؟! وَكَمْ رَجَفَ قَلْبُهَا لِأَدْنَى صَوْتٍ ، وَقَدْ ظَنَّتْهُ لِجَوَاسِيسِ فِرْعَوْنَ !! ثُمَّ كَمْ أَمْضَتْ يُوكَابِدُ مِنَ اللَّيَالِي بِجِوَارِ وَلِيدِهَا تَسْأَلُ رَبَّهَا أَنْ يَحْفَظَهُ لَهَا ، وَتَدْعُوهُ أَنْ يُلْهِمَهَا مَا يُرْشِدُهَا لِحِمَايَتِهِ ، وَيُنِيرَ بَصِيرَتَهَا فِيمَا تَتَّبِعُ لِإِخْفَائِهِ !!

وَكَانَ اللّٰهُ مَعَ هٰذِهِ الْأُمِّ الْحَزِينَةِ !! وَكَانَ قَدْ قَدَّرَ لَهَا وَلِوَلِيدِهَا حَظًّا عَظِيمًا !! وَأَوْحَى اللّٰهُ إِلَى هٰذِهِ الْأُمِّ مَا أَثْلَجَ فُؤَادَهَا ، وَطَمْأَنَ قَلْبَهَا ، وَأَرْشَدَهَا إِلَى مَا تَفْعَلُ .

وَنَهَضَتِ الْأُمُّ تَتَّبِعُ مَا أُوحِيَ لَهَا ، وَتَعْمَلُ بِمَا أُرْشِدَتْ إِلَيْهِ ، فَأَحْضَرَتْ صُنْدُوقًا مِنَ الْخَشَبِ طَلَتْهُ مِنَ الْخَارِجِ بِالْقَطِرَانِ ، وَأَرْضَعَتْ طِفْلَهَا وَهِيَ تَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهَا بِعَطْفٍ وَحَنَانٍ . فَلَمَّا شَبِعَ وَارْتَوَى حَمَلَتْهُ إِلَى الصُّنْدُوقِ ، فَوَضَعَتْهُ فِيهِ ؛ ثُمَّ حَمَلَتْهُ إِلَى النِّيلِ — وَكَانَ يُجَاوِرُ مَنْزِلَهَا — فَقَذَفَتْهُ فِيهِ !!

كَانَ وَجْهُ يُوكَابِدَ حِينَئِذٍ يَعْلُوهُ الِاطْمِئْنَانُ رَغْمَ شُحُوبِهِ ، وَكَانَتْ عَيْنَاهَا تَتْبَعَانِ تَابُوتَ وَلِيدِهَا بِالرِّضَا رَغْمَ تَبَلُّلِهِمَا بِالدُّمُوعِ ! وَسَرَتْ فِي قَلْبِهَا نَسْمَةٌ مِنَ الرِّضَا أَهْدَاهَا اللّٰهُ إِلَيْهَا

فَهَدَأَتْ مِنْ لَوْعَتِهَا وَأَرَاحَتْ نَفْسَهَا . وَحَمَلَ تَيَّارُ الْمَاءِ صُنْدُوقَ الطِّفْلِ مُبْتَعِدًا بِهِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا عَنِ الْأُمِّ الْوَاقِفَةِ عَلَى شَاطِئِ النِّيلِ مُطْمَئِنَّةً لِمَصِيرِ ابْنِهَا ، مُطْمَئِنَّةً لِوَعْدِ رَبِّهَا ! !

وَكَانَ وَعْدُ اللهِ لَهَا أَنَّهُ رَادُّ وَلَدِهَا إِلَيْهَا ! وَأَنَّهُ جَاعِلُهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ! !

وَالْتَفَتَتْ يُوكَابِدُ إِلَى ابْنَتِهَا مَرْيَمَ الَّتِي كَانَتْ تَقِفُ بِجَانِبِهَا تَرْقُبُ بِهَلَعٍ مَا تَفْعَلُهُ أُمُّهَا ، وَقَالَتْ لَهَا ، وَهِيَ تُشِيرُ بِيَدِهَا إِلَى تَابُوتِ وَلِيدِهَا : قُصِّي أَثَرَهُ يَا مَرْيَمُ ، وَاعْرِفِي لَنَا خَبَرَهُ !

وَسَارَتْ مَرْيَمُ بِجِوَارِ الشَّاطِئِ تَتْبَعُ بِعَيْنَيْهَا الصُّنْدُوقَ الَّذِي يَحْوِي فِي دَاخِلِهِ أَخَاهَا ، وَالْمَوْجُ يَتَقَاذَفُهُ ، فَيُقَرِّبُهُ مِنَ السَّاحِلِ تَارَةً ، وَيَبْتَعِدُ بِهِ أُخْرَى ، حَتَّى أَلْقَى بِهِ أَخِيرًا قَرِيبًا مِنَ الشَّاطِئِ بَيْنَ أَعْشَابٍ مُلْتَفَّةٍ ، وَأَشْجَارٍ مُتَشَابِكَةٍ . وَوَقَفَتِ الْأُخْتُ بَعِيدًا تُلَاحِظُ مَا الَّذِي سَيَكُونُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْطِنَ إِلَيْهَا أَحَدٌ ! !

كَانَ هٰذَا الْمَكَانُ الَّذِي قَذَفَ الْمَوْجُ بِالصُّنْدُوقِ فِيهِ . يُجَاوِرُ قَصْرَ فِرْعَوْنَ ، وَتَتَّصِلُ أَشْجَارُهُ بِأَشْجَارِ حَدَائِقِهِ ، وَتُرْفَعُ مِنْ ضَفَّتِهِ الْمِيَاهُ الَّتِي تُرْوَى بِهَا بَسَاتِينُهُ ، وَتَجْرِي فِي

مَجارِيهِ وَحِيَاضِهِ . وَمِنْ هـٰذَا الْمَكَانِ الْمُلْتَفِّ بِالنَّبَاتَاتِ ، الْمُظَلَّلِ بِالْأَشْجَارِ — تَتَّخِذُ شَابَّاتُ الْقَصْرِ وَوَصِيفَاتُهُ مِنْهُ مُغْتَسَلًا وَمَلْعَبًا .

وَلَمْ يَطُلِ الارْتِقَابُ بِمَرْيَمَ ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَبْصَرَتْ مِنْ مَوْقِفِهَا بِبَعْضِ وَصِيفَاتِ الْقَصْرِ يَفِدْنَ إِلَى السَّاحِلِ لِيَغْسِلْنَ وَيَمْرَحْنَ ، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثْ أَنْ رَأَتْهُنَّ وَهُنَّ يَتَقَدَّمْنَ مِنَ الصُّنْدُوقِ، ثُمَّ يَصِحْنَ فَرِحَاتٍ مُهَلِّلَاتٍ ، ثُمَّ يَلْتَفِفْنَ حَوْلَ الصُّنْدُوقِ ، وَيَنْتَشِلْنَهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَيُخْرِجْنَهُ إِلَى الشَّاطِئْ ، وَهُنَّ يَتَسَاءَلْنَ بِلَهْفَةٍ وَفَرَحٍ : تُرَى ! ! مَا الَّذِي يَحْوِي هـٰذَا الصُّنْدُوقُ ؟ ! !

ثُمَّ يُحَاوِلْنَ نَزْعَ غِطَائِهِ ،وَلَـٰكِنَّ إِحْدَاهُنَّ تَعْتَرِضُهُنَّ ،وَتَقُولُ: تَمَهَّلْنَ ، فَلَعَلَّ فِيهِ حُلِيًّا ، أَوْ نُقُودًا ! فَيَحْسُنُ بِكُنَّ أَنْ تَفْتَحْنَهُ أَمَامَ أَهْلِ الْقَصْرِ ، حَتَّى لَا يَكُونَ عَلَيْكُنَّ فِي ذٰلِكَ حَرَجٌ .

فَأَسْرَعَتِ الْوَصِيفَاتُ إِلَى الصُّنْدُوقِ فَحَمَلْنَهُ ، وَسِرْنَ بِهِ يَقْصِدْنَ سَيِّدَتَهُنَّ ، ضَاحِكَاتٍ مُسْتَبْشِرَاتٍ يُفْضِينَ بِنَبَإٍ مَا عَثَرْنَ عَلَيْهِ إِلَى كُلِّ مَنْ يُقَابِلُهُنَّ، حَتَّى إِذَا مَا وَصَلْنَ إِلَى سَيِّدَتِهِنَّ كَانَ قَدِ الْتَفَّ حَوْلَهُنَّ جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْقَصْرِ . وَكَانَتْ مَرْيَمُ حِينَ رَأَتِ الْوَصِيفَاتِ يَسِرْنَ بِالصُّنْدُوقِ قَدْ تَبِعَتْهُنَّ عَنْ كَثَبٍ ،

تَدْفَعُهَا إِلَى هٰذِهِ الْمُجَازَفَةِ رَغْبَتُهَا فِي الْوُقُوفِ عَلَى مَصِيرِ أَخِيهَا ، وَيَحْدُوهَا لِهٰذِهِ الْمُخَاطَرَةِ مَا تَوَدُّ أَنْ تَطْمَئِنَّ بِهِ أُمَّهَا .

وَفُتِحَ الصُّنْدُوقُ أَمَامَ زَوْجَةِ فِرْعَوْنَ ، وَتَطَلَّعَتْ عُيُونُ الْحَاضِرِينَ تَنْظُرُ إِلَى مَا بِدَاخِلِهِ . . . . وَ . . . . وَاتَّسَعَتِ الْعُيُونُ دَهْشَةً ، وَفُغِرَتِ الْأَفْوَاهُ عَجَبًا . . . ! !

لَقَدْ رَأَوْا بِالصُّنْدُوقِ طِفْلًا يَتَحَرَّكُ يَنْظُرُ إِلَى الْفَضَاءِ بِعَيْنَيْنِ لَامِعَتَيْنِ . . ! ! يَا لَلْعَجَبِ . . ! !

كَلِمَةٌ اسْتَطَاعَ الْحَاضِرُونَ بَعْدَ الصَّمْتِ الطَّوِيلِ أَنْ يَنْطِقُوا بِهَا . ثُمَّ تَقَدَّمَ بَعْضُهُمْ مِنَ الصُّنْدُوقِ يَجُسُّونَ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ !

وَأُخْرِجَ الطِّفْلُ مِنَ الصُّنْدُوقِ ، وَتَنَاوَلَتْهُ الْأَيْدِى ، وَتَدَاوَلَتْهُ الْأَذْرُعُ ، وَأَخِيرًا اسْتَقَرَّ بَيْنَ ذِرَاعَىْ آسِيَةَ زَوْجَةِ فِرْعَوْنَ .

وَنَظَرَتْ آسِيَةُ إِلَى الطِّفْلِ بِعَيْنَيْنِ تَفِيضَانِ بِالرَّأْفَةِ وَالْعَطْفِ ، ثُمَّ ضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا فِي حَنَانٍ وَحُبٍّ ! ! وَطَارَ نَبَأُ الْعُثُورِ عَلَى الطِّفْلِ فِي أَرْجَاءِ الْقَصْرِ ، وَوَصَلَ إِلَى مَسَامِعِ فِرْعَوْنَ ، فَأَصْدَرَ أَمْرَهُ بِقَتْلِ الطِّفْلِ خَشْيَةَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَبْنَاءِ إِسْرَائِيلَ .

وَلٰكِنَّ آسِيَةَ لَمْ تَسْمَحْ لِأَحَدٍ بِأَنْ يَنْتَزِعَ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ



مِنْ بَيْنِ ذِرَاعَيْهَا لِيُقْتَلَ ، فَتَوَجَّهَتْ بِهِ إِلَى فِرْعَوْنَ تَسْتَعْطِفُهُ أَلَّا يَقْتُلَهُ ، وَتَسْتَسْمِحُهُ أَنْ يَهَبَهُ لَهَا ، قَائِلَةً : قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ، لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا . وَلَانَ فِرْعَوْنُ لِاسْتِعْطَافِ زَوْجَتِهِ ، وَتَرَكَهُ لَهَا ، وَهُوَ يَقُولُ : قُرَّةُ عَيْنٍ لَكِ ، أَمَّا أَنَا فَلَيْسَ بِي حَاجَةٌ إِلَيْهِ .

وَتَسَلَّلَتْ مَرْيَمُ مُنْصَرِفَةً لِتَزُفَّ إِلَى أُمِّهَا هٰذِهِ الْبُشْرَى الطَّيِّبَةَ .

وَأَصْبَحَ آلُ فِرْعَوْنَ يَطْلُبُونَ الْمَرَاضِعَ لِلطِّفْلِ الصَّغِيرِ .

وَاجْتَمَعَتِ الْمَرَاضِعُ بِسَاحَةِ الْقَصْرِ ، وَكُلُّ مُرْضِعٍ تَوَدُّ أَنْ تَكُونَ هِيَ الَّتِي يَقَعُ عَلَيْهَا الاخْتِيَارُ لِإِرْضَاعِ رَبِيبِ فِرْعَوْنَ .

وَلٰكِنَّ الطِّفْلَ الصَّغِيرَ الْجَائِعَ رَفَضَ كُلَّ ثَدْيٍ قُدِّمَ إِلَيْهِ ، وَظَلَّ طُولَ الْيَوْمِ تَتَبَادَلُهُ أَذْرُعُ الْمَرَاضِعِ ، وَتَتَنَاوَبُهُ حُجُورُهُنَّ ، دُونَ أَنْ يُقْبِلَ عَلَى ثَدْيِ إِحْدَاهُنَّ

حِينَئِذٍ تَقَدَّمَتْ مَرْيَمُ مِنْ بَيْنِ الْمَرَاضِعِ ، وَكَانَتْ قَدْ تَسَلَّلَتْ مَعَ الدَّاخِلَاتِ بِالْأَمْسِ ، فَقَالَتْ :

هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ، وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ؟

وَاتَّجَهَتِ الْأَنْظَارُ إِلَى هٰذِهِ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ ، تَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنٍ



الاِسْتِنْكَارِ ، وَسَأَلَهَا سَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَصْرِ : وَمَنْ أَنْتِ ؟ ! وَمَنْ تَكُونِينَ ؟ ! وَمَنْ أَدْرَاكِ بِنُصْحِهِمْ وَشَفَقَتِهِمْ ؟ !

قَالَتْ : إِنَّمَا هِيَ رَغْبَتُهُمْ فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ، وَسَعْيُهُمْ فِي إِرْضَائِهِ.

فَلَمَّا أُذِنَ لِمَرْيَمَ فِي أَنْ تُحْضِرَ مَنْ أَشَارَتْ إِلَيْهِ — أَسْرَعَتْ إِلَى أُمِّهَا ، فَأَفْضَتْ إِلَيْهَا بِالنَّبَإِ السَّعِيدِ .

وَسَارَتِ الْأُمُّ مَعَ ابْنَتِهَا إِلَى قَصْرِ فِرْعَوْنَ لِتُرْضِعَ وَلِيدَهَا الَّذِي حُرِمَ مِنْ لَبَنِهَا مَا يَزِيدُ على يَوْمَيْنِ . وَوُضِعَ الطِّفْلُ بَيْنَ يَدَيْ أُمِّهِ ، وَكَادَتِ الْأُمُّ لِلَهْفَتِهَا عَلَى طِفْلِهَا أَنْ تَكْشِفَ سِرَّهَا ، وتُظْهِرَ أَمْرَهَا، لَوْلَا أَنْ رَبَطَ اللهُ عَلَى قَلْبِهَا ، وَثَبَّتَ جَنَانَهَا. فَأَلْقَمَتِ الطِّفْلَ ثَدْيَهَا بِثَبَاتٍ ،وَكَأَنَّهُ غَرِيبٌ عَنْهَا ، لَمْ يَأْلَفْهَا وَلَمْ تَأْلَفْهُ .

وَشَخَصَتِ الْعُيُونُ لِتَرَى مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِ الْمُرْضِعِ وَالطِّفْلِ وهَلْ سَيَصُدُّ الطِّفْلُ عَنْ ثَدْيِهَا كَمَا صَدَّ عَنْ أَثْدَاءِ غَيْرِهَا مِنْ قَبْلُ ؛ وَلٰكِنْ مَا كَانَ أَشَدَّ سُرُورَ الْجَمِيعِ ، وَمَا كَانَ أَعْظَمَ فَرَحَ آسِيَةَ ، حِينَ أَقْبَلَ الطِّفْلُ عَلَى الثَّدْيِ الَّذِي قُدِّمَ إِلَيْهِ، يَمْتَصُّ لَبَنَهُ . فَيَسُدُّ جُوعَهُ ، وَيُرْوِي عَطَشَهُ ! !

وَأَمَرَتْ آسِيَةُ أَنْ يُفْرَدَ مَكَانٌ لِإِقَامَةِ الْمُرْضِعِ وَالطِّفْلِ ،

وَلٰـكِنْ مَا كَانَ أَشَدَّ دَهْشَتَهَا حِينَ رَفَضَتِ الْمُرْضِعُ الْإِقَامَةَ ، وَاعْتَذَرَتْ قَائِلَةً :

إِنِّى لَا أَسْتَطِيعُ تَرْكَ مَنْزِلِى، لِأَنَّ فِيهِ أَوْلَادًا وَزَوْجًا .

وَقَالَتْ آسْيَةُ غَاضِبَةً : وَلٰـكِنْ لَا بُدَّ مِنْ إِرْضَاعِكِ لِلطِّفْلِ ، فَمَا قَبِلَ ثَدْيًا غَيْرَ ثَدْيِكِ .

فَقَالَتْ يُوكَابِدُ ، وَقَلْبُهَا عَامِرٌ ثِقَةً بِمَا وَعَدَ اللّٰهُ :

إِذَنْ ؛ أَعْطِيهِ لِى فِى مَنْزِلِى أُرْضِعْهُ وَأَرْعَه لَكِ !

وَسَكَتَتْ آسِيَةُ تُفَكِّرُ فِيمَا قَالَتْ لَهَا الْمُرْضِعُ ، فَلَمْ تَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ تَنْزِلَ عَلَى رَأْيِهَا !

وَاخْتِيرَ لِلطِّفْلِ اسْمُ مُوسَى نِسْبَةً إِلَى وُجُودِهِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالشَّجَرِ ، وَسُلِّمَ إِلَى يُوكَابِدَ لِتَحْمِلَهُ مَعَهَا إِلَى دَارِهَا .

وَعَادَتِ الْأُمُّ مِنْ قَصْرِ فِرْعَونَ مُحَمَّلَةً بِالْهَدَايَا ، وَمَعَهَا طِفْلُهَا الَّذِى أَلْقَتْهُ مُنْذ يَوْمَيْنِ بِالنِّيلِ وَأَقَرَّ اللّٰهُ عَيْنَهَا بِوَلِيدِهَا ، وَكَانَ وَعْدُ اللّٰهِ حَقًّا وَلٰـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ .

٣

وَظَلَّ مُوسَى مَعَ أُمِّهِ : تَحْبُوهُ بِعَطْفِهَا ، وَتَشْمَلُهُ بِرِعَايَتِهَا : تَذْهَبُ بِهِ بَيْنَ الْحِينِ وَالْحِينِ إِلَى آسِيَةَ فَتُرِيهَا إِيَّاهُ ، وَتَتْرُكُهُ بَيْنَ يَدَيْهَا بَعْضَ الْوَقْتِ ، تُدَاعِبُهُ وَتُنَاغِيهِ ، ثُمَّ تَأْخُذُهُ وَتَعُودُ بِهِ إِلَى دَارِهَا وَآسِيَةُ تَرْعَى الْأُمَّ بِمَا يَكْفُلُ لَهَا رَغَدَ الْعَيْشِ ، وَتَشْفَعُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ جَمِيعًا لَدَى فِرْعَوْنَ إِكْرَامًا لِمُرْضِعَةِ مُوسَى الَّذِي أَحَبَّتْهُ وَاتَّخَذَتْهُ وَلَدًا . وَجَاوَزَ مُوسَى سِنَّ الرَّضَاعِ ، فَأَمَرَتْ آسِيَةُ أَنْ يُؤْتَى بِهِ إِلَى الْقَصْرِ ، وَلٰكِنَّهَا ظَلَّتْ تَلْحَظُ يُوكَابِدَ بِرِعَايَتِهَا وَتَمْنَحُهَا عَطْفَهَا ، وَتَسْمَحُ لَهَا بِزِيَارَةِ مُوسَى كُلَّمَا أَرَادَتْ ، كَمَا تَسْمَحُ لِمُوسَى أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهَا .

وَذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَتْ آسِيَةُ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهِيَ تَحْمِلُ مُوسَى ، تُدَاعِبُهُ فَرِحَةً بِهِ ، وَأَجْلَسَتْهُ عَلَى حِجْرِ فِرْعَوْنَ تَدْعُوهُ لِمُشَارَكَتِهَا فِي مُدَاعَبَتِهِ ، وَمُشَاطَرَتِهَا مَا هِيَ فِيهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ .

وَلٰكِنَّ الطِّفْلَ الَّذِي كَانَ يَضْحَكُ مَعَ آسِيَةَ ، وَيَمْرَحُ لِمُدَاعَبَتِهَا — مَا كَادَ يُوضَعُ عَلَى حِجْرِ فِرْعَوْنَ حَتَّى زَايَلَهُ فَرَحُهُ



وَنَظَرَ إِلَى فِرْعَوْنَ مُقَطَّبَ الْجَبِينِ ، وَأَمْسَكَ بِلِحْيَتِهِ فَجَذَبَهَا جَذْبَةً قَوِيَّةً لاَ تَصْدُرُ عَنْ طِفْلٍ فِي مِثْلِ سِنِّهِ،فَقَدْ كَادَتْ تَقْتَلِعُ لِحْيَةُ فِرْعَوْنَ مِنْ جُذُورِهَا . وَصَاحَ فِرْعَوْنُ مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ ، وَأَلْقَى بِالطِّفْلِ بَعِيدًا عَنْهُ ، فَتَلَقَّتْهُ آسِيَةُ بَيْنَ يَدَيْهَا فَصَاحَ بِهَا زَوْجُهَا : هٰذَا هُوَ الطِّفْلُ الَّذِي حُدِّثْتُ عَنْهُ !! هٰذَا هُوَ عَدُوِّي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ !! ثُمَّ صَاحَ عَلَى خَدَمِهِ قَائِلاً :

أَحْضِرُوا الذَّبَّاحِينَ لِيَذْبَحُوا هٰذَا الْإِسْرَائِيلِيَّ .

وَرُوِّعَتْ آسِيَةُ لِقَوْلِ زَوْجِهَا ، وَوَقَفَتْ لاَ تَدْرِي مَا تَقُولُ وَأَخِيرًا مَلَكَتْ قَلْبَهَا ، وَاسْتَرَدَّتْ نَفْسَهَا ، فَأَقْبَلَتْ عَلَى زَوْجِهَا تُلاطِفُهُ ، وَتُسَكِّنُ مِنْ حِدَّةِ غَضَبِهِ وَتَقُولُ لَهُ إِنَّهُ طِفْلٌ صَغِيرٌ ، لاَيَعْقِلُ مَا يَفْعَلُ فَلْنَخْتَبِرْهُ بِأَنْ نَضَعَ أَمَامَهُ يَاقُوتًا وَجَمْرًا فَإِنْ أَخَذَ الْيَاقُوتَ فَهُوَ يَعْقِلُ مَا يَفْعَلُ فَاقْتُلْهُ، وَإِنْ أَخَذَ الْجَمْرَ فَهُوَ لاَ يَعْقِلُ فَاتْرُكْهُ . وَأَمَرَتْ آسِيَةُ ، فَأُحْضِرَ مَوْقِدٌ مُلِئَ بِجَمَرَاتٍ حَمْرَاءَ مُتَّقِدَةٍ ، وَبِصُنْدُوقٍ بِهِ جَوَاهِرُ وَيَوَاقِيتُ لاَمِعَةٌ ، فَوُضِعَا أَمَامَ مُوسَى . وَنَظَرَ مُوسَى إِلَى الْجَمَرَاتِ الْحَمْرَاءِ الْمُلْتَهِبَةِ ، وَإِلَى الْيَوَاقِيتِ الْبَرَّاقَةِ اللاَّمِعَةِ ؛ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ . . . وَكَتَمَتْ

آسِيَةُ أَنْفَاسَهَا ، وَانْتَظَرَتْ !! مَا الَّذِى سَتُمْسِكُ بِهِ يَدُ الطِّفْلِ . . . وَأَمْسَكَتْ يَدُ الطِّفْلِ بِجَمْرَةٍ قَذَفَ بِهَا سَرِيعًا إِلَى فَمِهِ ، وَأَسْرَعَتْ آسِيَةُ جَزِعَةً تَحُولُ دُونَ احْتِرَاقِهِ بِهَا ، وَكَانَ جَزَعُهَا مَصْحُوباً بِالْفَرَحِ ، مَقْرُوناً بِالسُّرُورِ ! وَانْصَرَفَ فِرْعَوْنُ ، وَقَدْ نَجَا مُوسَى مِنَ الْقَتْلِ ! ! وَشَبَّ مُوسَى الْإِسْرَائِيلِيُّ فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ عَدُوِّ بَنِى إِسْرَائِيلَ ، وَرُبِّيَ بَيْنَ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ .

كَبِرَ مُوسَى وَعَلِمَ مِنْ أُمِّهِ قِصَّتَهُ ! وَعَرَفَ مَنْ هِيَ أُمُّهُ ! ! وَمَنْ هُوَ أَبُوهُ ! ! وَأَدْرَكَ مَا يُقَاسِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمِنَ الْمِصْرِيِّينَ . فَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى إِنْصَافِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ بِمَا لَهُ مِنَ الْمَكَانَةِ فِي قَصْرِ فِرْعَوْنَ .

وَخَطَا مُوسَى إِلَى الرُّجُولَةِ مَبْسُوطَ الْجِسْمِ قَوِيَّهُ ، وَكَانَ أَسْمَرَ اللَّوْنِ ، جَعْدَ الشَّعْرِ ، فِي لِسَانِهِ لُكْنَةٌ تَعْبَثُ بِأَلْفَاظِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ ، وَقَدْ آتَاهُ اللهُ حُكْماً ، وَوَهَبَ لَهُ عِلْماً . وَعُرِفَ مُوسَى بَيْنَ الْمِصْرِيِّينَ وَالْإِسْرَائِيلِيِّينَ بِالْبَأْسِ وَالْقُوَّةِ ، وَانْتِصَارِهِ لِلْحَقِّ ، وَإِنْصَافِهِ لِلْمَظْلُومِ ، فَاشْتَدَّ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَهَابَهُ الْمِصْرِيُّونَ وَخَافُوهُ . وَكَانَ مِنْ عَادَاتِ مُوسَى أَنْ يُغَادِرَ قَصْرَ

فِرْعَوْنَ ، وَيَطوفَ بِأَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ وضَوَاحِيهَا ، مُتَفَقِّدًا أَحْوَالَ أَهْلِهَا ، نَاظِراً فِي ظُلَامَاتِهِمْ بِعَيْنِ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ .

وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الصَّيْفِ الشَّدِيدَةِ الْقَيْظِ ، غَادَرَ مُوسَى قَصْرَ فِرْعَوْنَ ، عَلَى عَادَتِهِ ، فَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَطُوفُ بِهَا وَالنَّاسُ يَقِيلُونَ فِي مَنَازِلِهِمْ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ ، أَحَدُهُمَا مِصْرِيٌّ ، وَالْآخَرُ إِسْرَائِيلِيٌّ ، فَمَا كَادَ الْإِسْرَائِيلِيُّ يَرَى مُوسَى حَتَّى اسْتَغَاثَ بِهِ ، مِنْ ظُلْمِ الْمِصْرِيِّ لَهُ ، وَقَسْوَتِهِ عَلَيْهِ . فَغَضِبَ مُوسَى ، وَتَقَدَّمَ مِنَ الْمِصْرِيِّ لِيَنْهَاهُ عَمَّا يُوقِعُهُ عَلَى الْإِسْرَائِيلِيِّ مِنْ أَذًى ؛ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُ الْمِصْرِيُّ ، فَوَكَزَهُ وَكْزَةً سَقَطَ الْمِصْرِيُّ مِنْ أَثَرِهَا عَلَى الْأَرْضِ مَيِّتاً .

وبُهِتَ مُوسَى لِهَذَا الْأَمْرِ ، وَسُقِطَ فِي يَدِهِ ، وَتَوَلَّاهُ النَّدَمُ عَلَى وَكْزِهِ لِلرَّجُلِ . فَمَا كَانَ يُرِيدُ إِلَّا زَجْرَهُ لِيَرْتَدِعَ ، وَمَا يَبْغِي إِلَّا أَنْ يَفُضَّ النِّزَاعَ ، وَقَدِ اقْتَصَّ مِنَ الظَّالِمِ ، وَأَخَذَ بِحَقِّ الْمَظْلُومِ . وَنَظَرَ إِلَى مَا فَعَلَ آسِفاً ، وَقَالَ : هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى رَبِّهِ قَائِلًا : رَبِّ ، إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، فَاغْفِرْ لِي . وَأُوحِيَ إِلَى مُوسَى

أَنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَهُ، وَمَنَحَهُ رَحْمَتَهُ، فَقَالَ: رَبِّ، بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ. وَبَاتَ مُوسَى لَيْلَتَهُ بِالْمَدِينَةِ، وَأَصْبَحَ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ مَا تُسْفِرُ عَنْهُ الْأُمُورُ؛ وَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَ يَسِيرُ بِإِحْدَى طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ، فَإِذَا بِهِ يَلْتَقِي بِإِسْرَائِيلِيِّ الْأَمْسِ يُقَاتِلُ مِصْرِيّاً آخَرَ وَمَا كَادَ الْإِسْرَائِيلِيُّ يَرَاهُ حَتَّى صَاحَ عَلَيْهِ يَسْتَغِيثُ بِهِ. فَغَضِبَ مُوسَى لِذَلِكَ غَضْبَةً شَدِيدَةً وَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ. وَرَأَى الْإِسْرَائِيلِيُّ غَضْبَةَ مُوسَى وَهُوَ يَتَقَدَّمُ لِيَدْفَعَ عَنْهُ الْمِصْرِيَّ بِالْحُسْنَى فَأَوْجَسَ مِنْهُ خِيفَةً، وَخَشِيَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَرَادَ بِهِ سُوءاً، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مِنْهُ: إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ فَقَالَ لَهُ: يَا مُوسَى؛ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ؟!! إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ!!

وَأَدْرَكَ الْمِصْرِيُّ أَنَّ قَتِيلَ الْأَمْسِ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ قَاتِلَهُ. قَدْ قَتَلَهُ مُوسَى، وَانْتَشَرَ قَوْلُ الْإِسْرَائِيلِيِّ فِي الْمَدِينَةِ، فَعَرَفَ النَّاسُ أَنَّ مُوسَى هُوَ الْقَاتِلُ. فَأَسْرَعُوا جَمِيعاً إِلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ يَنْقُلُونَ إِلَيْهِمُ الْخَبَرَ. وَرُفِعَ الْأَمْرُ إِلَى فِرْعَوْنَ، فَأَمَرَ

بِإِحْضَارِ مُوسى لِيُحَقِّقَ مَعَهُ ، وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مَنْ شَهِدَ الْحَادِثَ لِيَشْهَدَ، فَإِنْ كَانَ هٰذَا الأَمْرُ حَقًّا قُتِلَ مُوسىفِيهِ.وَكَانَ بِمَجْلِسِ فِرْعَوْنَ رَجُلٌ مِنْ أَتْبَاعِهِوَالْمُقَرَّبِينَ إِلَيْهِ يَمِيلُ إِلَىمُوسَى وَيُعْجَبُ بِهِ ، لِمَا يَعْهَدُ فِيهِ مِنْ مَيْلٍ إِلَى الْحَقِّ ، وَإِنْصَافٍ لِلْمَظْلُومِ ، فَدُهِشَ لِهٰذَا الأَمْرِ؛ وَأَسْرَعَ لِيَبْحَثَ عَنْ مُوسَى لِيُحَذِّرَهُ،وَيُبَلِّغَهُ مَا ائْتَمَرَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ . وَسَبَقَ الرَّجُلُ جُنُودَفِرْعَونَ إِلَىمُوسَى ، فَلَمَّا الْتَقَى بِهِ قَالَ لَهُ : يَا مُوسَى ؛ إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ، فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ .

وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى بُدًّا مِنْ أَنْ يَعْمَلَ بِنَصِيحَةِ هٰذَا النَّاصِحِ الأَمِينِ ، وَلَمْ يَجِدْ أَمَامَهُ مَنْجًى إِلَّاأَنْ يُغَادِرَ مِصْرَهَرَبًا مِنْجُنُودِ فِرْعَوْنَ . فَاتَّجَهَ نَحْوَ الشَّرْقِ يَسِيرُ وَيَسِيرُ لَيْسَ مَعَهُ مَا يُمْسِكُ بِهِ رَمَقَهُ ،وَلَا مَا يَقُومُ بِأَوَدِهِ . وَطَالَ السَّيْرُ بِمُوسَى حَتَّىحَفِيَتْ قَدَمَاهُ ، وَتَسَلَّخَ جِلْدُهُمَا وَظَهَرَ الدَّمُ مِنْهُمَا ؛ وَمَضَتْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ وَلَيَالٍ لَيْسَ لَهُ غِذَاءٌ إِلَّا حَلْفَاءَ الأَرْضِ وَأَوْرَاقَ الأَشْجَارِ .

وَخَرَجَ مُوسَى مِنْ أَرْضِ مِصرَ ،فَسَارَ يَبْغِي أَرْضَ مَدْيَنَ الَّتِي تَقَعُ شَمَالَ خَلِيجِ الْعَقَبَةِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ.

٥

كَانَتْ هٰذِهِ الْأَرْضُ قَدْ سَكَنَهَا أَبْنَاءُ مَدْيَنَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ بِهَا أَقْوَامٌ كُفَّارٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، وَطَغَى عَلَيْهِمُ الْكُفْرُ، وَعَمَّهُمُ الْفَسَادُ. وَصَارَ أَهْلُ مَدْيَنَ — وَهُمْ أَهْلُ تِجَارَةٍ وَرَفَاهَةٍ وَغِنًى — يَطْلُبُونَ الْمَزِيدَ بِجَشَعٍ وَطَمَعٍ فَإِذَا مَرَّ عَلَيْهِمْ قَوْمٌ لِشِرَاءِ حَبٍّ بَخَسُوا لَهُمُ الْكَيْلَ، وَإِذَا أَتَاهُمْ مَنْ يَنْشُدُ بِضَاعَتَهُمْ نَقَصُوا لَهُ الْمِيزَانَ

كَانَ شُعَيْبٌ فِيهِمْ، فَأَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى قَوْمِهِ يَهْدِيهِمْ بِالنَّصِيحَةِ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِالْعَاقِبَةِ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى اللهِ، وَيَقُولُ لَهُمْ:

يَا قَوْمِ؛ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ، قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا؛ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. وَلٰكِنَّهُمْ صَدُّوا عَنْهُ وَأَعْرَضُوا وَهَزِئُوا بِهِ وَاسْتَكْبَرُوا، وَاسْتَصْغَرُوا أَمْرَهُ، وَهَدَّدُوهُ وَتَوَعَّدُوهُ وَآذَوْهُ. فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ وَأَبَادَهُمْ وَنَجَا شُعَيْبٌ وَمَنْ

مَعَهُ ، فَتَنَاسَلُوا ثُمَّ عَمَرُوا أَرْضَهُمْ مِنْ جَدِيدٍ .

وَدَخَلَ مُوسَى أَرْضَ مَدْيَنَ يَبْغِي أَرْضًا طَاهِرَةً، وَيَنْشُدُ قَوْمًا مُؤْمِنِينَ ، وَنَزَلَ عَلَى مَائِهَا لِيُرْوِيَ عَطَشَهُ ، وَيَبْتَرِدَ مِمَّا قَاسَى مِنْ لَفْحِ الشَّمْسِ ، وَمَا اصْطَلَى مِنْ وَهَجِ الْهَجِيرِ

وَعَلَى مَاءِ مَدْيَنَ وَجَدَ مُوسَى جَمَاعَةً مِنَ الرُّعَاةِ يَسْتَسْقُونَ لِمَاشِيَتِهِمْ ، وَهُمْ يَتَبَادَلُونَ الْوُرُودَ إِلَى الْمَاءِ : نَفَرٌ بَعْدَ نَفَرٍ ، وَوَجَدَ إِلَى جَانِبٍ فَتَاتَيْنِ تَهُشَّانِ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الْمَاشِيَةِ ، لِتَحُولَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الِاخْتِلَاطِ بِقُطْعَانِ الرُّعَاةِ الَّتِي تَتَسَابَقُ فِي الْوُرُودِ إِلَى الْمَاءِ .

وَعَجِبَ مُوسَى مِنْ أَمْرِ هٰؤُلَاءِ الرِّجَالِ الَّذِينَ يَسْتَبِقُونَ إِلَى الْمَاءِ ، بَيْنَمَا الْفَتَاتَانِ تَسْتَأْخِرَانِ عَنْهُ ، فَتَقَدَّمَ مِنْهُمَا يَسْأَلُهُمَا : مَا خَطْبُكُمَا ؟! قَالَتَا : لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ، وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ

وَأَدْرَكَ مُوسَى أَنَّ هَاتَيْنِ الْفَتَاتَيْنِ ضَعِيفَتَانِ أَمَامَ هٰؤُلَاءِ الرِّجَالِ الْأَقْوِيَاءِ الَّذِينَ اسْتَخَفُّوا بِهِمَا لِشَيْخُوخَةِ أَبِيهِمَا ، فَتَرَكُوهُمَا إِلَى الْمُؤَخِّرَةِ تَنْتَظِرَانِ حَتَّى إِذَا انْتَهَى الرِّجَالُ جَمِيعًا مِنْ سَقْيِ مَاشِيَتِهِمْ وَأَغْنَامِهِمْ تَقَدَّمَتِ الْفَتَاتَانِ لِلسَّقْيِ .

وَبِشَهَامَةِ الرَّجُلِ الْحَقِّ ، تَقَدَّمَ مُوسَى بِغَنَمِ الْفَتَاتَيْنِ إِلَى

الْبِئْرِ ، فَأَزَاحَ مِنْ طَرِيقِهِ الرُّعَاةَ الَّذِينَ مَا إِنْ رَأَوْا مَا يَبْدُو عَلَيْهِ مِنَ الْبَأْسِ وَالْقُوَّةِ حَتَّى أَسْرَعُوا فَأَخْلَوْا لَهُ السَّبِيلَ ، وأَفْسَحُوا لَهُ الطَّرِيقَ وَسَقَى مُوسَى غَنَمَ الْفَتَاتَيْنِ، وَسَاقَهَا إِلَيْهِمَا ؛ فَشَكَرَتَاهُ عَلَى شَهَامَتِهِ ، وَجَمِيلِ فِعْلِهِ، فَتَرَكَهُمَا وَذَهَبَ إِلَى شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ يَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا . وَبَيْنَمَا هُمَا تَهُشَّانِ عَلَى غَنَمِهِمَا مُتَأَهِّبَتَيْنِ لِلِانْصِرَافِ — سَمِعَتَاهُ يَقُولُ : رَبِّ ؛ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ .

وَعَادَتِ الْفَتَاتَانِ بِمَاشِيَتِهِمَا إِلَى أَبِيهِمَا الشَّيْخِ مُبَكِّرَتَيْنِ عَلَى غَيْرِ عَادَتِهِمَا ؛ فَسَأَلَهُمَا أَبُوهُمَا فِى ذٰلِكَ ، فَأَخْبَرَتَاهُ بِمَا فَعَلَه مُوسَى لَهُمَا ، وَ بِمَا سَمِعَتَاهُ يَقُولُهُ أَثْنَاءَ انْصِرَافِهِمَا ، فَقَالَ الْأَبُ : يَا بُنَيَّ ؛ فَلْتَذْهَبْ إِحْدَاكُمَا فَتَدْعُوَهُ لِنَجْزِيَهُ أَجْرَ مَا سَقَى لَكُمَا

فَجَاءَتْ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ مُوسَى تَمْشِى عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، فَلَمَّا بَلَغَتْ مَجْلِسَهُ قَالَتْ فِى خَجَلٍ : إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا

فَنَهَضَ مُوسَى يَتْبَعُ الْفَتَاةَ مُلَبِّيًا دَعْوَةَ أَبِيهِمَا ، وَفِى أَثْنَاءِ سَيْرِهَا عَصَفَ الْهَوَاءُ بِثِيَابِ الْفَتَاةِ فَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهَا ، فَكَرِهَ مُوسَى أَنْ يَسِيرَ خَلْفَ الْفَتَاةِ فَيَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، فَقَالَ لَهَا : سَأَتَقَدَّمُكِ فِى السَّيْرِ فَإِنْ أَخْطَأْتُ فِى الطَّرِيقِ فَنَبِّهِينِى لِذٰلِكَ .

فَاسْتَأْخَرَتِ الْفَتَاةُ وَتَقَدَّمَ مُوسَى وَتَقَدَّمَ، وَالْفَتَاةُ مُعْجَبَةٌ كُلَّ الْإِعْجَابِ بِنَزَاهَةِ مُوسَى وَعِفَّتِهِ وَلَمَّا أَتَى مُوسَى إِلَى وَالِدِ الْفَتَاةِ سَأَلَهُ الشَّيْخُ : يَا بُنَيَّ ؛ مَنْ أَنْتَ ؟! وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ؟!

فَقَصَّ عَلَيْهِ مُوسَى قِصَّتَهُ ، وَعَرَّفَهُ خَبَرَ هَرَبِهِ مِنْ مِصْرَ؛ وَاسْتَمَعَ الشَّيْخُ إِلَى حَدِيثِ مُوسَى مُسْتَعْجِبًا ، فَلَمَّا فَرَغَ مُوسَى قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : لَا تَخَفْ ، نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

وَرَحَّبَ الشَّيْخُ بِمُوسَى ، وَدَعَاهُ إِلَى طَعَامِهِ ، فَلَمَّا فَرَغَا جَلَسَ الشَّيْخُ يُفَكِّرُ فِيمَا يُكَافِئُ بِهِ مُوسَى وَفِيمَا يُمْكِنُهُ أَنْ يُسَاعِدَهُ بِهِ ، فَقَالَتْ لَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ :

يَا أَبَتِ؛ اسْتَأْجِرْهُ، إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ.

وَصَادَفَ هٰذَا الرَّأْيُ مِنْ نَفْسِ الشَّيْخِ قَبُولًا ، فَعَرَضَهُ عَلَى مُوسَى ، ثُمَّ قَالَ : يَا بُنَيَّ ؛ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُزَوِّجَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ، عَلَى أَنْ تَرْعَى لِي غَنَمِي وَمَا شِيَتِي ثَمَانِيَ سِنِينَ، فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَذَاكَ مَكْرُمَةٌ مِنْ عِنْدِكَ ، فَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ .

فَقَبِلَ مُوسَى عَرْضَ الشَّيْخِ قَائِلًا . ذٰلِكَ عَهْدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا يُطْلَبُ مِنِّي أَنْ أَزِيدَ عَلَيْهِ، وَاللّٰهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ .

وَتَزَوَّجَ مُوسَى مِنْ إِحْدَى ابْنَتَيِ الشَّيْخِ ، وَعَاشَ فِي كَنَفِ صِهْرِهِ : يَرْعَى لَهُ غَنَمَهُ ، وَيَرْعَى لَهُ مَصَالِحَهُ فِي إِخْلَاصٍ وَأَمَانَةٍ .

وَمَرَّتِ السُّنُونَ تَتَتَابَعُ ، وَمُوسَى مِنْ زَوْجَتِهِ نِعْمَ الزَّوْجُ الرَّحِيمُ ، وَمِنْ حَمِيهِ نِعْمَ الابْنُ الْمُطِيعُ الْأَمِينُ وَانْقَضَى الْأَجَلُ الَّذِي كَانَ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ بَيْنَ مُوسَى وَصِهْرِهِ ، وَصَارَ مُوسَى حُرًّا ، وَحَقَّ لَهُ أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ ، وَلَٰكِنَّهُ فَضَّلَ أَنْ يَظَلَّ فِي مُعَاشَرَةِ صِهْرِهِ : يَرْعَى لَهُ شُئُونَهُ ، وَيَقُومُ عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ .

مَرَّتْ سَنَوَاتٌ ثُمَّ اشْتَاقَ مُوسَى إِلَى رُؤْيَةِ أَهْلِهِ ، وَحَنَّ إِلَى مَعْرِفَةِ أَخْبَارِهِمْ ، فَاسْتَأْذَنَ صِهْرَهُ فِي أَنْ يَسِيرَ بِزَوْجَتِهِ وَوَلَدَيْهِ إِلَى مِصْرَ مُتَخَفِّيًا لِيَرَى أُمَّهُ وَأَبَاهُ ، وَأُخْتَهُ وَأَخَاهُ ؛ فَأَذِنَ لَهُ صِهْرُهُ ، وَأَعْطَاهُ مِنْ مَالِهِ كُلَّ مَا أَنْتَجَتْ أَغْنَامُهُ فِي هٰذِهِ السَّنَةِ

فَلَمَّا كَانَ الشِّتَاءُ خَرَجَ مُوسَى بِأَهْلِهِ إِلَى مِصْرَ ؛ يَسِيرُ حِينًا ، وَيَحُطُّ لِلرَّاحَةِ حِينًا آخَرَ ، وَفِي غُرُوبِ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ ، ضَلَّ مُوسَى طَرِيقَهُ ، وَالْتَبَسَتْ عَلَيْهِ السُّبُلُ ، فَلَمْ يَعْرِفْ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ يَتَّجِهُ ، وَلَا أَيَّ طَرِيقٍ يَسْلُكُ ، فَحَطَّ بِأَهْلِهِ حَتَّى يُصْبِحَ الصَّبَاحُ فَيَسْتَأْنِفُوا السَّيْرَ عَلَى هُدَاهُ وَنُورِهِ ، وَأَرَادَ مُوسَى أَنْ

يَقْدَحَ زَنْدَهُ لِيُخْرِجَ لِأَهْلِهِ نَارًا يَسْتَهْدُونَ بِهَا ، وَيَسْتَدْفِئُونَ عَلَيْهَا وَلٰكِنَّ زَنْدَهُ لَمْ يَقْدَحْ نَارًا ، وَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ شَرَارًا ؛ وَتَحَيَّرَ مُوسَى فِي أَمْرِهِ : مَاذَا يَفْعَلُونَ فِي هٰذَا اللَّيْلِ الْبَارِدِ الْقَارِسِ ؟ !

وَفَجْأَةً لَاحَ لِمُوسَى مِنْ جَانِبِ جَبَلِ الطُّورِ وَهَجٌ وَنُورٌ ! !

فَفَرِحَ وَقَالَ لِأَهْلِهِ : امْكُثُوا ؛ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ، لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ ، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ مَنْ يَهْدِينَا إِلَى طَرِيقِنَا .

وَجَدَّ مُوسَى فِي سَيْرِهِ نَحْوَ النَّارِ الَّتِي تَلُوحُ أَمَامَهُ مُتَوَهِّجَةً مُنِيرَةً ، فَلَمَّا بَلَغَهَا وَجَدَهَا فِي شَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ وَلَيْسَ بِجِوَارِ النَّارِ أَحَدٌ ! اسْتَعْجَبَ مُوسَى ، وَدَارَ بِعَيْنَيْهِ يَبْحَثُ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَلٰكِنَّ عَيْنَهُ لَمْ تَقَعْ عَلَى إِنْسَانٍ ، بَلْ كَانَ الْوَادِي الَّذِي يَقِفُ فِيهِ هَادِئًا سَاكِنًا ! ! وَارْتَدَّتْ عَيْنَا مُوسَى إِلَى النَّارِ . يَا لَلْعَجَبِ ! ! إِنَّ النَّارَ مُتَوَهِّجَةٌ وَلٰكِنَّهَا لَا تُحْرِقُ الشَّجَرَةَ وَلَا تَنْطَفِئُ ! ! وَدَنَا مُوسَى مِنَ النَّارِ فَاسْتَأْخَرَتْ عَنْهُ ! ! وَتَمَلَّكَتْ مُوسَى الرَّهْبَةُ ، وَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً ، فَارْتَدَّ عَلَى عَقِبِهِ يَبْغِي الرُّجُوعَ .

عِنْدَئِذٍ سَمِعَ صَوْتًا أَنِسَتْ لَهُ نَفْسُهُ ، وَاطْمَأَنَّ لَهُ قَلْبُهُ ؛ وَكَانَ هٰذَا الصَّوْتُ يُنَادِيهِ : يَا مُوسَى ؛ إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

يَا مُوسى ؛ إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ، إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ ، فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى

وَخَلَعَ مُوسى نَعْلَيْهِ ، وَوَقَفَ خَاشِعاً بَيْنَ يَدَى اللهِ ، يَسْتَمِعُ إِلَى مَا يُوحَى إِلَيْهِ مِنْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ثُمَّ قَالَ اللهُ لَهُ : يَا مُوسى ؛ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ؟ ! !

فَقَالَ مُوسى لِرَبِّهِ : رَبِّ ؛ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِى ، وَأَخَافُ أَنْ يَضِيقَ صَدْرِى ، وَلَا يَنْطَلِقَ لِسَانِى ؛ فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِى قَالَ اللهُ : مَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسى ؟!

قَالَ : هِيَ عَصَايَ ، أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى ، وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ اللهُ : أَلْقِهَا يَا مُوسَى

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ، قَدْ صَارَ شُعْبَتَاهَا فَمَهَا ، وَصَارَ مِقْبَضُهَا عُرْفاً لَهَا يَهْتَزُّ عَلَى ظَهْرِهَا .

فَلَمَّا رَأَى مُوسَى الْعَصَا قَدْ صَارَتْ حَيَّةً تَهْتَزُّ وَتَتَحَرَّكُ كَأَنَّهَا جَانٌّ — وَلَّى مُدْبِرًا خَائِفاً دُونَ أَنْ يَنْطِقَ أَوْ يُعَقِّبَ .

فَنَادَاهُ رَبُّهُ : يَا مُوسَى ؛ أَقْبِلْ ، لَا تَخَفْ ! ! إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ خُذْهَا ، سَنُعِيدُهَا إِلَى سِيرَتِهَا الْأُولَى .

وَأَقْبَلَ مُوسَى لِيَأْخُذَ الْعَصَا ، فَهَابَهَا وَهِيَ حَيَّةٌ ، فَلَفَّ يَدَهُ فِي كُمِّ رِدَائِهِ ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيُمْسِكَهَا فَنُودِيَ أَنِ انْزِعْ عَنْكَ رِدَاءَكَ وَلَا تَخَفْ ؛ فَنَزَعَهُ ، وَمَدَّ يَدَهُ بَيْنَ فَكَّيْهَا ، وَكَفُّهُ بَيْنَ شُعْبَتَيْهَا ا فَعَادَتْ عَصًا . وَلِيَزِيدَهُ اللهُ اطْمِئْنَانًا قَالَ لَهُ :

يَا مُوسَى ؛ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ .

وَفَعَلَ مُوسَى مَا أَمَرَهُ رَبُّهُ ، فَإِذَا يَدُهُ بَيْضَاءُ سَاطِعَةٌ مِنْ غَيْرِ مَرَضٍ ، فَرَدَّهَا إِلَى جَيْبِهِ فَعَادَتْ إِلَى لَوْنِهَا الْأَوَّلِ .

فَقَالَ لَهُ اللهُ : فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ .

قَالَ مُوسَى : رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ، فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي وَيُفْهِمُ عَنِّي مَا لَا يَفْهَمُونَ .

قَالَ اللهُ لَهُ : سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ، وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ .

وَرَجَعَ مُوسَى إِلَى أَهْلِهِ بِهُدًى أَيِّ هُدًى ، وَنُورٍ أَيِّ نُورٍ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ لِيَعْمَلَ بِمَشِيئَةِ رَبِّهِ ، وَيُنَفِّذَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ .

مجموعة قصص الأنبياء

مجموعة جديدة فى أسلوب سهل ممتع ، وإخراج أنيق جميل ، للصغار والكبار ، تصف حياة الأنبياء ، وجليل أعمالهم ، وتسرد ما صادفهم من حوادث مع أقوامهم ، خالية من الشوائب والإسرائيليات حتى تظل العقيدة سليمة نقية تمكن الإنسان من التقرب إلى الله تعالى وحده ، والاعتصام بدينه وتعاليمه ، والتحلى بالفضائل الحسنة ، والتمسك بالأخلاق الكريمة .

برنامج المجموعة

١ — آدم	١١ — موسى والسحرة
٢ — نوح	١٢ — موسى وبنو إسرائيل
٣ — هود	١٣ — داود
٤ — صالح	١٤ — سليمان وملك الجزائر
٥ — إبراهيم الخليل	١٥ — سليمان وبلقيس
٦ — إسماعيل الذبيح	١٦ — يونس
٧ — يوسف الصديق	١٧ — أيوب
٨ — يوسف العفيف	١٨ — ابنة عمران
٩ — يوسف على خزائن مصر	١٩ — عيسى المسيح
١٠ — موسى الرضيع	٢٠ — الحواريون

ثمن النسخة ٣ قروش

دار المعارف